ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Ayub Sleiman Rashid

University of slemaniyah faculty of Islamic sciences.

Mahdi qadr Ahmed

University of slemaniyah faculty of Islamic sciences.

* *Corresponding author: E-mail* :
Ayubsleman1983@gmail.com

***Keywords*:**
faith.
charge.
the duty of existence.
the world occurrence.
self gode.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 13 Dec. 2022
Accepted 8 Jan 2023
Available online 31 July 2023
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

The Concept of the Commissioner - God - according to Abu Hamid Al-Ghazali (T: 505h) in his Theory of Contractual Assignment: A Descriptive and Analytical Study

A B S T R A C T

This study is a descriptive and analytical examination of the doctoral thesis titled "The Theory of Doctrine Assignment according to Abu Hamid Al-Ghazali, who passed away in 505AH." The incongruity between the attributes of creatures and the divine nature of God, may His glory be exalted, is a topic that Al-Ghazali addresses in his work on the attributes. Al-Ghazali follows the teachings of his mentor, Abu Al-Hasan Al-Ash'ari, in affirming the seven meanings of the attributes while either remaining silent or occasionally providing interpretations for other attributes. This approach is rooted in the belief that it aligns with the doctrinal stance of the early scholars. The prominent Ash'ari imams were known for their opposition to misleading and destructive ideologies. They authored numerous books on their doctrinal beliefs, with a particular emphasis on elucidating the most beautiful names of God, outlining the principles of belief, promoting simplicity in faith, and bridging theological concepts for the general populace. This correspondence highlights Al-Ghazali's focus on comprehending the essence of God within the framework of his doctrine. The concept of the Supreme Being and His characteristics are rooted in principles that encompass the understanding of the existence of God Almighty, His transcendence beyond physical form or accidental attributes, His omnipresence, His omniscience, His oneness, and His possession of qualities such as life, knowledge, power, devotion, hearing, insight, and speech. The occurrence of accidents is distant from it, and it possesses antiquity in speech, knowledge, and will. These attributes surpass the essence, as they have existed since ancient times within the essence. It is impermissible for any of these attributes to be considered accidental.

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.30.7.2.2023.04

مفهوم المكلِّف – الله – عند أبي حامد الغزالي(ت:505هـ) في نظريته للتكليف العقدي

دراسة وصفية تحليلية

أيوب سليمان رشيد/ كلية العلومِ الإسلامية في جامعة السليمانية– كلية العلوم الإسلامية.

أ. م. د مهدي أحمد قادر/ كلية العلومِ الإسلامية في جامعة السليمانية– كلية العلوم الإسلامية

الخلاصة:

هذا البحث ملخص لأطروحة الدكتوراه الموسومة ب:**(نظرية التكليف العقدي عند أبي حامد الغزالي المتوفى (505هـ))** دراسة وصفية تحليلية، يظهر خلال هذا البحث أن عقيدة الغزالي كانت قائمة على إجلال الله تعالى وكماله، وتعظيم أمره ونهيه، وكما بني على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به سبحانه وتعالى عن صفات المخلوقين، إلاّ أن الغزالي في آيات الصفات ذهب إلى ما ذهب إليه شيخه أبو الحسن الأشعري، من حيث أنه أثبت من الصفات المعاني السبعة، ويسكت عما عداها أو يؤول أحياناً، معتقداً أنه مذهب السلف، بل كان أئمةً من أبرز أئمة الأشاعرة، وأكثرهم محاربة للأفكار المضلّة والهدامة، وألف في مذهبه العقيدة كتب عدة منها المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، وقواعد العقائد، الاقتصاد في الاعتقاد، وإلجام العوام في علم الكلام، وفي هذه الرسالة يظهر أن عقيدة الغزالي في معرفة ذات الله تعالى وصفاته أنها بنيت على أصول، وهي العلم بوجود الله تعالى، وقدمه، وبقائه، وأنه ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عرض، وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة، ولا مستقراً على مكان، وأنه يرى، وأنه واحد، وهو العلم بكونه حياً، عالماً، قادراً، مريداً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، منزهاً عن حلول الحوادث، وأنه قديم الكلام، والعلم، والإرادة، وأن هذه الصفات زائدة على الذات وقديمة وقائمة بالذات ولا يجوز أن يكون شيء من الصفات حادثاً.

مُلَخّص/ الكلمات المفتاحية: 1– الإيمان. 2–المكلِّف. 3– إثبات واجب الوجود. 4–حدوث العالم. 5– الذات الإلهية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلما كانت العقيدة الإسلامية أصل الدين، مصدرها كتاب الله المعجز، الذي قال تعالى في شأنه:﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت:42]. لقد اهتم العلماء في كل عصر بالعقيدة الإسلامية كأصل الدين، ومن أشهرهم الغزالي، واشتهر بالعقيدة الإسلامية، بل أجمع المؤرخون على أن الغزالي كان واسع الاطلاع في معظم العلوم الشرعية والعقلية، كما يظهر خلال كتبه، وألف في العقيدة كتب ثمينة منها المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، وقواعد العقائد، والاقتصاد في الاعتقاد، وإلجام العوام في علم الكلام، بل لُقب بحجة الإسلام والإمام في الدين، والشافعي الثاني، ومجد الدين في القرن

الخامس الهجري، وكل ذلك يدل على تعظيمه ومكانته في معظم العلوم وبالأخص في علم الكلام والفقه وأصوله والمنطق والفلسفة، وهذا ما جعله أن يكون صاحب مدرسة النظامية ببغداد، بل صار أحداً من أبرز أئمة الأشاعرة، كما لم يكن في عصره نظيراً له في مواجهة الفلاسفة والأفكار الهادمة، وإن درس أحد الفلسفة من قلبه أو في عصره أو في ما بعده من باب الدفاع عن الإسلام، بل هو درس الفلسفة لمواجهة الفلاسفة المضلّة والأفكار الهدّامة، والأديان المنحرفة، ونصر الإسلام وأهله، وإثبات ما ذهب إليه أهل السنة من الاعتقاد.

أسباب اختيار عنوان البحث:

تظهر أسباب اختيار الموضوع من خلال ما يأتي:

1- ولأن هذا الموضوع موضوع هام يستحق أن يبحث عنه الطالب، بل لا يستطع أحد أن يحكم على أحد من المكلفين بدون علم به، لاسيما هذا الموضوع لب العقيدة الإسلامية.

2- ولأن الغزالي ذو تراث عظيم في العقيدة الإسلامية، بل كان أئمة من أعظم الرجال في مواجهة الطاعنين للإسلام، كما يظهر خلال كتابه الشهير «**تهافت الفلاسفة**».

3- ولأن هذا الموضوع حسب اطلاعي والبحث عنه لم يكتب به أحد بهذا الشكل والطريقة، كرسالة مستقلة، وإنما كتبوا عن طريق الفقه وأصوله، والفلسفة، كما يأتي بيانه في الدراسات السابقة.

أسئلة البحث:

يتبع الباحث خلال دراسته للموضوع ما يأتي:

1- من هو الغزالي وما مدى تأثره في عصره من جميع جوانب الحالة السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية؟

2- ما هو مفهوم نظرية التكليف عند الغزالي، وما هو أقسام التكليف، ومن مراد بالمكلَّف؟

3- ما مفهوم واجب الوجود، وما طرق إثبات واجب الوجود عند الغزالي، وما رائيه في أسمائه وصفاته؟

4- وما يجوز في ذات الله تعالى، وما يستحيل في حقه؟

5- من هو المكلَّف وماهيته عند الغزالي، وما نظرية الغزالي فيما يتعلق بأفعال المكلَّفين؟

مشكلة البحث:

يتبين من آراء أهل العلم من المتكلمين والأصوليين والفرق الإسلامية وبالأخص عند الغزالي في التكليف تحت ظل العقيدة الإسلامية، وبيان أوجه الاتفاق والافتراق بين الفرق الإسلامية، كما يعالج جملة من القضايا التي يتعلق بالمكلِّف والمكلَّف، وكما يبين ما يجب على المكلَّف من الاعتقاد والتكليف، ولعل من أهم مسائل التي تعرضت لبيانها ما يأتي:

1- التعرض لذكر مفهوم نظرية التكليف عند أهل العلم من اللغويين والمتكلمين والأصوليين.

2- التعرض لبيان مفهوم المكلِّف وأسمائه الحسنى وصفاته، وأفعاله في خلقه.

3- التعرض لبيان المكلَّف وماهيته عند الغزالي، وما يتعلق بأفعال المكلَّفين عنده.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

1- بيان جانب مهم من جوانب العقيدة الإسلامية، وهو التكليف العقدية، وبيان نظرية العلماء منه، من السلف والخلف وبالأخص عند الغزالي.

2- وتحقيق المادة وجمعها في الرسالة المعينة، وآراء أهل الكلام في ما يتعلق بالتكليف العقدية في العقيدة الإسلامية.

3- ولا شك أن مسألة التكليف العقدية من أهم مسائل في العقيدة الإسلامية، كما أن له علاقة متينة بالمصدري الأول والثاني من مصادر التشريع فهو القرآن الكريم والسنة الطهرة من حيث المحكم والمتشابه، وهذا ما يلزم على الطالب أن يكتب عنه.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الوحدانية وبيان المنهج الغزالي كما يلي:

1- إبراز المكانة العلمية التي تميَّز بها الغزاليّ من جانب العقيدة الإسلامية، في عصره ولا سميا نظرية التكليف العقدية.

2- الرد على مطاعن أعداء الإسلام، وإثبات عدالة الإلهية والاختيار المكلَّف في يتعلق بأفعاله، وإثبات نقي الوحيين وعدم التناقض بينهما في ما يتعلق بالتكليف العقدية، وبيان جهود العلماء الإسلام في الرد على الطاعنين ومن أبرزهم الغزالي.

3- الهدف من كتابة هذه الأطروحة هو الاستجابة والاطلاع والتخصص للباحث في موضوع ذي فائدة علمية، الذي وافقت عليه لجنة السمنار في الدراسات العليا.

منهج البحث:

وأما المنهج الذي صار عليه الباحث خلال بحثه عن نظرية التكليف العقدية عند الغزالي فهو المنهج الوصفي التحليلي المقارن بأقوال الآخرين، تحت ظل العقيدة الإسلامية مع مراعات الأمور الآتية:

1- قدّم صورة واضحة لرأي الغزالي واعتقاده في عقيدة الإسلامية، خصوصاً في جانب مذهب الأشاعرة الذي ينتمي إليه في الموضوع.

2- قام الباحث بجمع آراء أهل العلم والكلام والفرق الإسلامية في أقوال مختصرة للموضوع، مع أدلتهم من النقلية أو العقلية إن وجد، مع بيان رأي الغزالي.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والمتابعة لما كُتب عن الغزالي وجدت أطروحات ورسائل عنيت بدراسته، وبمختلف الجوانب والعلوم، ولكن لم يظهر لي أن أحداً كتب عنه بهذا العنوان وبهذا الشكل، بل من أبرز هذه الأطروحات والرسائل التي كتب في هذا الموضوع إما كتبوا بطريق الفلسفة كعبدالكريم عثمان حيث كتب عن نظرية التكليف عند القاضي عبدالجبار المعتزلي، كاد أن لا تجد آيةً أو حديثاً في رسالته، وإما كتبوا عن طريق الفقه وأصوله على ما يأتي.

وأما ما كتبتُ عن الغزالي ويمتاز عما سبق فهو على طريق نهج المتكلمين تحت ظل العقيدة الإسلامية مستدلاً بالقرآن الكريم، أو بالسنة النبوية، ومن أشهر ما كتب عن هذا الموضوع منها:

1- أهلية التكليف عند الأصوليين، إعداد نبيل كامل حسن أبو صالح، بإشراف د. ناصر الدين الشاعر، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفقه والتشريع، بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين، 2011م.

2- التكليف في الشريعة الإسلامية، إعداد الطالبة لطيفه حسن محمد قاري، بإشراف أحمد فهمي أبو سنة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في أصول الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

3- الحكم التكليفي في الشريعة الإسلامية، تأليف الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، دار القلم- دمسق، أصل هذا الكتاب رسالة قدمت لنيل الشهادة العالمية، في أصول الفقه الإسلامي، 1390هـ- 1970م.

4- مباحث التكليف عند الأصوليين، دراسة مقارنة، إعداد موسى مصطفى موسى القضاة، بإشراف د. محمد فتحي الدريني، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الفقه وأصوله، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، 2000م.

5- نظرية التكليف آراء القاضي عبدالجبار الكلامية، الدكتور عبدالكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1391هـ.

المبحث الأول

إثبات واجب الوجود، وحدوث العالم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات واجب الوجود.

المطلب الثاني: حدوث العالم.

المبحث الثاني

الذات الإلهية والتفكر فيه والحكمة والتعليل في أفعاله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذات الإلهية.

المطلب الثاني: التفكر في الذات الإلهية.

المطلب الثالث: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى.

المطلب الأول

إثبات واجب الوجود

الواجِب: لغة بكسر الجيم، اسم فاعل من وجب اللازم، يطلق على وجهين:

الأول: أن يراد به اللازم الوجوب، فإنه لا يصح أن لا يكون موجوداً كقولك في الله تعالى واجب وجوده، والثاني: الواجب بمعنى أن حقه أن يوجد[1].

وأما الواجب عند المتكلمين فهو الموجود الذي يمتنع عدمه، فإن كان وجوده لذاته أي لا يكون محتاجاً في وجوده إلى غيره فهو الواجب لذاته، وواجب الوجود لذاته، وإن كان لغيره فهو واجب الوجود لغيره، وأما الفلاسفة يسمون الله -ﷻ- واجب الوجود، ويقولون: الموجودات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب، وممكن، ومستحيل، من حيث الوجود، فواجب الوجود هو: ما يوجد بذاته مستغنى عن غيره وغيره مفتقر إلى وجوده، أي الله -ﷻ-، والممكن: وجود المخلوقات، والمستحيل: وجود واجبين، كما هو مستحيل وجود إلهين مثلاً[2].

نظرية الغزالي في إثبات واجب الوجود:

وأما نظرية الغزالي وموقفه من واجب الوجود، فهو أثبت لله تعالى صفة واجب الوجود، وقسم الموجود إلى قسمين: قسم ما يتعلق وجوده بغيره فهو ممكن، وقسم لا يتعلق بغيره فهو واجب بذاته، لأن الموجود إما أن يكون واجب الوجود، أو ممكن الوجود، فالواجب الوجود ما يتعلق الكل به ولا يتعلق وجوده بغيره فيكون منتهى الموجودات، وممكن الوجود لابد أن يتعلق بغيره وجوداً ودواماً والعالم بأسره ممكن الوجود فيتعلق بواجب الوجود، وكما يقرر بتنزيه الله تعالى عن الأعراض[3]،

والجوهر[4]، والصورة والمقدار والمتعلق بغيره، ثم يستدل على ذلك بأمور، إذ يقول: الموجود على قسمين إما أن يتعلق وجوده بغيره بحيث يلزم من عدم ذلك الغير عدمه، أو لا يتعلق، فان تعلق سميناه ممكناً، وإن لم يتعلق سميناه واجباً بذاته، فيلزم من هذا في واجب الوجود معرفة أمور:

الأول: ليس بعرض ولا بجسم ولا بصورة:

يرى الغزالي أن واجب الوجود ينبغي أن لا يكون عرضاً، لأن العرض يتعلق بالجسم، وينتهي عدمه بعدم الجسم، كما لا يكون واجب الوجود جسماً، لأن الجسم منقسم بالكمية إلى الأجزاء، فتكون الجملة متعلقة بالأجزاء، فتكون معلولة، وأيضاً فان الجسم مركب من المادة والصورة، وكل واحد منهما متعلق بالآخر نوع تعلق، وكما أنه لا يكون مثل الصورة، لأنها متعلقة بالمادة، ولا يكون مثل المادة، لأنها محل الصورة ولا توجد إلا معها[5].

الثاني: ليس بالماهية:

كما يرى الغزالي أن واجب الوجود منزه عن الماهية، لأن الماهية غير الآنية، والوجود الذي الآنية عبارة عنه عارض للماهية، وكل عارض معلول، لأنه لو كان موجودا بذاته ما كان عارضاً لغيره، إذ ما كان عارضاً لغيره فله تعلق بغيره، وعلته إن كان غير الماهية فلا يكون واجب الوجود الذي يتعلق به كل الموجودات، وإن كان علته الماهية فالماهية قبل الوجود لا تكون علة، لأن السبب ما له وجود تام فقبل الوجود لا يكون له وجود، فثبت أن واجب الوجود آنيته ماهيته، وإن وجوب الوجود له كالماهية لغيره، ومن هذا يظهر أن واجب الوجود لا يشبه غيره البتة ولا يصل أحد إلى كنه معرفته[6].

الثالث: واجب الوجود لا يتعلق بغيره:

ويرى الغزالي أن واجب الوجود لا يتعلق بغيره على وجه يتعلق ذلك الغير به، على معنى أن يكون كل واحد منهما علة للآخر، فيتقابلان فإن هذا محال، وكما أنه لا يتعلق بغيره على وجه يتعلق ذلك الغير به

على سبيل التضايف، لأنه يكون ممكن الوجود، وكما أن واجب الوجود لا يجوز أن يكون شيآن كل واحد منهما واجب الوجود، كما لا يكون للبدن الواحد إلا نفس واحدة، فلا يكون للعالم إلا رب واحد، هو مبدع الكل، ويتعلق به الكل تعلق الوجود والبقاء، وأيضا فلو كان واجب الوجود اثنين فبم يتميز أحدهما عن الآخر، فإن كان بعارض فيكون كل منهما معلولا، وإن كان بذاتي فيكون مركبا ولا يكون واجب الوجود[7].

استدل الغزالي على إثبات واجب الوجود بأدلة عدة ومن أبرزها ما يأتي:

الأول: دليل الاختراع والإتقان:

استدل الغزالي بأن محدِث العالم عالم قادر حكيم، لأن العالم فعل محكم مرتب متقن بنظامه الدقيق، منظوم مشتمل على أنواع من العجائب والآيات، ويرى ذلك يدل على القدرة خالقه، فيقول:" كل فعل محكم فهو صادر من فاعل قادر، والعالم فعل محكم فهو إذاً صادر من فاعل قادر، ففي أي الأصلين النزاع؟ فإن قيل فلم قلتم أن العالم فعل محكم، قلنا: عنينا بكونه محكماً ترتبه ونظامه وتناسبه، فمن نظر في أعضاء نفسه الظاهرة والباطنة ظهر له من عجائب الإتقان ما يطول حصره، فهذا أصل تدرك معرفته بالحس والمشاهدة فلا يسع جحده"[8].

الثاني: دليل الحدوث:

ويرى الغزالي بأن العالم حادث، وكل حادث فله سبب، فالعالم له سبب، واستدله على حادثه بأنه أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، إذ يقول: "ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى:

الأولى: قولنا أن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار، فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار، فإن من عقل جسماً لا ساكناً ولا متحركاً كان لمتن الجهل راكباً وعن نهج العقل ناكباً"[9].

الثانية: يقول الغزالي عن الحركة والسكون إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما، وذلك مشاهد في جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد، فما من متحرك إلاّ والحكم قاض بجواز سكونه، وما من ساكن إلاّ والحكم قاض بجواز حركته، لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه[10].

الثالثة: يقول الغزالي في إثبات حدوث العالم ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وحجته أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها، ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعاً أو وتراً، أو شفعاً ووتراً جميعاً، أو لا شفعاً ولا وتراً ومحال أن يكون شفعاً ووتراً جميعاً، أو لا شفعاً ولا وتراً، فإن ذلك جمع بين النفي والإثبات، إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر، وفي نفي أحدهما إثبات

الآخر، إذ له نهاية فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث، وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة[11].

الثالث: دليل بطلان التسلسل:

يرى الغزالي أن السبب الذي أثبته لوجود العالم قديم، فإنه لو كان حادثاً لافتقر إلى سبب آخر، ومعلوم أن السبب الآخر ويتسلسل إما إلى غير نهاية وهو محال، وإما أن ينتهي إلى قديم لا محالة يقف عنده وهو الذي نطلبه ونسميه صانع العالم، كما يرى فليس تحت لفظ القديم إلا إثبات موجود ونفي عدم سابق، ولا بد من الاعتراف به بالضرورة ولا يعني بقوله قديم إلا أن وجوده غير مسبوق بعدم، ويقول: فلا تظنن أن القدم معنى زائد على ذات القديم، فيلزمك أن تقول ذلك المعنى أيضاً قديم بقدم زائد عليه، ويتسلسل إلى غير نهاية[12].

إذا ثبت بأدلة قانعة قاطعة أن للعام صانعا صنعه يجب على المكلَّف أن يعتقد اعتقادا جازما بقلبه بأن الله تعالى موجودٌ وجودا حقيقيا بذاته، وأنه هو الذي خلق الكون بما فيه بلا شريكٍ، وأنه تعالى موصوفٌ بصفات الكمال كلِّها، ومنزهٌ عن صفات النقص والعيوب، وأنه لا شبيهَ ولا مثيلَ له من خلقهِ قال تعالى: ﴿**فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الشورى:11]. وأنه وحده المستحقُّ للعبادة بكل أنواعها دون أن يشرك معه في ذلك أحدٌ غيره، يجب على المكلف أن يؤمن بالله تعالى لأن الإيمان بالله تعالى أساس الدين، وأولُّ واجب على الإنسان، وعليه يقوم الإيمان ببقية أركان الإيمان، إذ لا يصح إيمان أحد بشيء من أركان الإيمان وشعبه وسننه إلا بعد إيمانه بالحق تبارك وتعالى، فالإيمان بالله تعالى هو أساس جميع أعمال الإيمان، لذا يذكر الإيمان بالله تعالى متقدماً على بقية الأركان حين يذكر معها[13].

بعد آراء أهل العلم والكلام ونظرية الغزالي في إثبات واجب الوجود يجب على المكلف أن يعرف الصانع من المصنوع، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث، بأن يقرر أن الموجودات لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها، أنا وجدنا منها الموت والأعراض، أعني الجمادات التي لا حياة فيها، لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها ولا لغيرها، لأن من شرط الفاعل أن يكون حياً، قادراً، فبطل كونها محدثة لنفسها بل لها محدث أحدثها، وإذا ثبت أن للعالم صانعاً صنعه، ومحدثاً أحدثه، فيجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يكون مشبهاً للعالم المصنوع المحدث، لأنه لو جاز ذلك لم يخل إما أن يشبهه في الجنس، أو في الصورة، ولا يجوز أن يكون مشبهاً له في الجنس؛ لأنه لو أشبهه في الجنس لجاز أن يكون محدثاً كالعالم المحدث، أو يكون العالم قديماً كهو[14].

مما سبق يظهر أن الغزالي أثبت لله تعالى صفة واجب الوجود، وقسم الموجود إلى قسمين، ممكن الوجود وواجب الوجود، فالممكن الوجود ما يتعلق قيامه بغيره ويستوي فيه وجوده وعدمه، وعلى هذا العالم بأسره ممكن الوجود، وأما واجب الوجود فهو ما لا يتعلق قيامه بغيره بل الكل يتعلق به، وهو منزه عن عرض وجسم وصورة وماهية، كما استدل على ما مر.

المطلب الثاني

حدوث العالم

ومن المعلوم أن العالم عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، لقد أجمع أهل الملل والأديان على أنّ كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن، ولم يثبت أنّ أهل ملة أو دين زعم قدم شيء من العالم لا الملائكة، ولا الأفلاك، ولا السماوات، ولا الأرض، ولا شيء مما خلقه الله تعالى، كما أن جميع أهل الملل والأديان من المسلمون والنصارى واليهود حتى المجوس، والهندوس، يقرّون جميعاً بأنّ العالم مخلوق محدث، وأما القول بقدم العالم فلم يعرف قبل أرسطو، وهو أوّل الفلاسفة الذين ابتدعوا هذا المذهب، واشتهر في العالم الإسلامي من قبل شرذمة من الفلاسفة أمثال ابن سينا، والفارابي، وابن رشد،، ثم اختلف المتكلمون والفلاسفة على قولين:

القول الأول: العالم محدَثٌ، وهو ما أجمع أهل الملل والأديان، وإجماع المسلمون، والمتكلمون من الأشاعرة، والماتريدية، والمعتزلة، والكندي من الفلاسفة، وهو ما ذهب إليه الغزالي[15].

ويستدلوا على حدوثه بما يأتي:

الأول: كل ما سوى خالق سبحانه وتعالى مخلوق:

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾[الزمر:62].

وجه الدلالة: ويفهم من هذه الآية أن ما سوى الله تعالى حادث كائن بعد أن لم يكن، وهو سبحانه المختص بالقدم والأزلية، فليس في مفعولاته قديم، وإن قدر أنه لم يزل فاعلاً وليس معه شيء قديم بقدمه، بل ليس في المفعولات قديم البتة، بل لا قديم إلا هو سبحانه وتعالى، وهو وحده الخالق لكل ما سواه وكل ما سواه مخلوق[16].

الثاني: تغير العالم من حال إلى حال دليل على حدوثه:

واستدلوا على حدوث العالم بأن تغيره من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة، وما كان هذا سبيله

ووصفه كان محدثاً، وقد بين نبينا –ﷺ– هذا بأحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة، لما جاء أناس من أهل اليمن قالوا له: يا رسول الله: أخبرنا عن بدء هذا الأمر؟ فقال: **«كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»**[17]، ثم خلق الله الأشياء فأثبت أن كل موجود سواه محدث مخلوق، وكذلك الخليل عليه السلام، إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة؛ لأنه لما ﴿**رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي**﴾[الأنعام:76]. إلى آخر الآيات، فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت على أنها محدثة مفطورة مخلوقة، وأن لها خالقاً، فقال عند ذلك:﴿**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ**﴾[الأنعام:79] [18].

الثالث: العالم لا يخلو من خواص الحوادث:

ومعلوم أن العالم لا يخلو عن حيز وأعراض والجوهر ومحل الحوادث، وهذا من مخصوصات الحادث، ويدل على حدوث العالم بأن الصور الموجودة؛ منها ما هو مربع، ومنها ما هو مدور، ومنها شخص أطول من شخص، وآخر أعرض من آخر؛ مع تجانسها، ولا يجوز أن يكون المربع منها ربع نفسه، ولا القبيح منها قبح نفسه، ولا الحسن منها حسن نفسه، ولا المطول منها طول نفسه، فلم يبق إلا أن لها مصوراً صورها؛ طويلة، وقصيرة، وقبيحة، وحسنة، على حسب إرادته ومشيئته، وكما يدل على صحة حدوث العالم أن الموجودات لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها، أنا وجدنا منها الموت والأعراض، أعني الجمادات التي لا حياة فيها، لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها ولا لغيرها، لأن من شرط الفاعل أن يكون حياً، قادراً، فبطل كونها محدثة لنفسها بل لها محدث أحدثها[19].

نظرية الغزالي في حدوث العالم:

وأما موقف الغزالي من حدوث العالم فهو واضح، حيث أثبت الغزالي حدوثه بطرق عدة، وحجة قاطعة، من السمعية والعقلية، وعن خواص الحوادث، منها:

الأول: دليل الإتقان والمحكم:

استدل الغزالي على حدوث العالم بدليل الإتقان والمحكم، وعجائب الخلق في السموات والأرض، إذ يقول في قوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً(16) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً**﴾[نوح: 15-18]. وقال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ**﴾[الواقعة:58-59]. فليس يخفى على من معه أدنى فهمه من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات، وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسماوات، وبدائع فطرة الحيوان والنبات، إن هذا الأمر العجيب، والترتيب

المحكم لا يستغني عن صانع يدبره، وفاعل يحكمه ويقدره، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفه بمقتضى تدبيره[20].

الثاني: دليل الحركة والسكون:

استدل الغزالي بأن العالم حادث، لأن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون، وهما حادثان، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار[21].

الثالث: دليل الحدوث:

ومن استدل الغزالي على حدوث العالم فهو دليل الحدوث، يقول: أن العالم حادث، وكل حادث فله سبب، فالعالم له سبب، فقد ثبتت حدوثه عن هذا الطريق، كما ندعي أن السبب الذي أثبتناه لوجود العالم قديم، فإنه لو كان حادثاً لافتقر إلى سبب آخر، وكذلك السبب الآخر ويتسلسل إما إلى غير نهاية وهو محال[22].

وكما ثبت الغزالي عن طريق القياس بأن العالم جسم، ومعلوم أن الجسم من خواص الحدوث، فلزم أن يكون العالم حادث، إذ يقول: "كل جسم مؤلف وكل مؤلف حادث فيلزم منه أن كل جسم حادث"[23].

القول الثاني: العالم قديم، وبهذا قال الدهرية[24]، وجمهور الفلاسفة الإسلاميين كالفارابي، وابن سينا، وابن رشد[25].

اختلفت الفلاسفة في قدم العالم، فالذي استقر عليه رأي جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين القول بقدمه وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومسوقاً له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم الباري عليه كتقدم العلة على المعلول، وهو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان، وذكر عن أفلاطن[26]، أنه قال: العالم مكون ومحدث، ثم منهم من أول كلامه وأبى أن يكون حدث العالم معتقداً له، وذهب جالينوس في آخر عمره في الكتاب الذي سماه "ما يعتقده جالينوس رأياً"[27] إلى التوقف في هذه المسألة، وأنه لا يدري العالم قديم أو محدث[28].

ويرد الغزالي على هذا القول وأصحابه بقوله: "وإن أريد به أن الباري متقدم على العالم والزمان لا بالذات بل بالزمان، فإذن قبل وجود العالم والزمان زمان كان العالم فيه معدوماً، إذ كان العدم سابقاً على الوجود وكان الله سابقاً بمدة مديدة لها طرف من جهة الآخر ولا طرف لها من جهة الأول، فإذن قبل الزمان زمان لا نهاية له وهو متناقض، ولأجله يستحيل القول بحدوث الزمان، وإذا وجب قدم الزمان، وهو عبارة عن قدر الحركة، وجب قدم الحركة ووجب قدم المتحرك الذي يدوم الزمان بدوام حركته"[29].

وهذا ما أدى إلى أن قرر الغزالي بكفرهم وتكفرهم في عدة مسائل منها قديم العالم، وإليك نص قوله: تكفيرهم لا بد منه في ثلث مسائل أحدها مسألة قدم العالم وقولهم إن الجواهر كلها قديمة والثانية قولهم إن الله

لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص والثالثة في إنكارهم بعث الأجساد وحشرها، فهذه المسائل الثلث لا تلائم الإسلام بوجه ومعتقدها معتقد كذب الأنبياء، وإنهم ذكروا ما ذكروه على سبيل المصلحة تمثيلاً لجماهير الخلق وتفهيماً وهذا هو الكفر الصراح الذي لم يعتقد أحد من فرق المسلمين[30].

يجب على المكلف أن يقرر بأن الله تعالى هو الخالق وحد، لا يجوز أن يكون خالق سواه، فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبحها خلق له تعالى لا خالق لها غيره؛ فهي منه خلق وللعباد كسب، على ما قدمنا بيانه بقوله تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾[البقرة:286]. وأمثال هذه الآية من الأدلة على الفرق بين الخلق والاختراع والكسب، فالواحد منا إذا سمى فاعلاً فإنما يسمى فاعلاً بمعنى أنه مكتسب، لا بمعنى أنه خالق لشيء[31].

يجب على المكلَّف أن يعلم أن صانع العالم جلت قدرته واحد أحد؛ بمعنى أنه ليس معه إله سواه، لا من طريق أنه واحد من جهة العدد فقط، بل من طريق أنه لا شبيه له ولا نظير، ويريد بذلك أن ليس معه من يستحق الإلهية سواه، ولا من يستحق العبادة إلا إياه، لقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[النساء:171]. واشتهر عند أهل الحق الاستدلال على إثبات الوحدة لله تعالى ببرهان التمانع، المأخوذ من قوله تعالى:﴿**لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا**﴾ [الأنبياء:22]. والدليل المعقول مستنبط من هذا النص المنقول، فإنا نرى الأمور تجري على نمط واحد، في السموات والأرض وما فيهما من شمس وقمر وغير ذلك، ولو كانا اثنتين أو أكثر فلا بد أن يجري خلاف أو تغير من أحدهما على الآخر[32].

ومن المعلوم مما سبق أن العالم عبارة عما سوى الله تعالى، وأن أهل الملل والأديان والمتكلمين والفلاسفة اختلفوا فيه على قولين، قرر أهل الملل والأديان والمتكلمين بحدوث العالم، وقرر الآخرون بقدم العالم فهم الدهرية وجمهور الفلاسفة الإسلامية أمثال الفارابي وابن سينا وابن رشد، وأما الغزالي قرر بحدوث العالم عن طرق أدلة المختلفة من السمعية والعقلية، من الإتقان والمحكم والقياس ودليل الحركة والسكون، والحسيات، وغير ذلك مما يدل على حدوث العالم.

المبحث الثاني

الذات الإلهية والتفكر فيه والحكمة والتعليل في أفعاله

المطلب الأول: الذات الإلهية.

المطلب الثاني: التفكر في الذات الإلهية.

المطلب الأول

الذات الإلـهيَّة

ومما لا شك أن لله تعالى في العقيدة الإسلامية ذاتاً متميزة مستقلة عالية، لها وجود حقيقي لا خياليّ ولا مثاليّ ولا وهميّ، إلّا أنها ذات لا تشبه ذوات المخلوقين لا من حيث الوجود ولا من حيث الصفات، وكلما يخطر في الوهم والخيال والفكر من التخيل والتمثيل والتكيف فانه منزّه عن ذلك، لأن ذلك من صفات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف بها، فوجود الله تعالى وجود كامل شامل لم يسبق بعدم، ولا يدركه فناء ولا عدم ولا نهاء، فهو الأول وليس قبله شيء، كما أنه الآخر وليس بعده شيء، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد:3]. ولما كانت هذه الذات بالحال التي ذُكَر، فإن العقل البشري يستحيل عليه إدراك كيفية هذه الذات، لأنه لا يتصور إلاّ الأشياء التي تدركها حواسه المحددة القصيرة، فذات الله تعالى جلت عن أن تدركها البصائر النافذة فضلاً عن الأبصار، وعظمت عن أن توهمها الظنون أو تتصورها الأفكار، قال تعالى: ﴿**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[الأنعام:103] [(33)].

ولذلك لما جاء بعض الأعراب إلى رسول الله –ﷺ– قالوا ما نسب الإله؟ نزل في جوابهم: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1) اللَّهُ الصَّمَدُ(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:1–5]. معناه أن التقديس والتنزه عن النسبة نسبته، ولذلك لما قال فرعون لموسى: ﴿**وَما رَبُّ العالَمينَ**﴾[الشعراء:23].كالطالب لماهيته لم يجب إلا بتعريفه بأفعاله، إذ كانت الأفعال أظهر عند السائل فقال: ﴿**رَبِّ السَمَواتِ وَالأَرضِ**﴾ [الشعراء:24]. وهو يذكر ما يدل على الصفة الخارجية عن الماهية والتشبه، فإن الخالقية صفة خارجية عن الماهية والتمثيل، فهذا يدل على أن فرعون ما نازعه في وجود الصانع بل كان يطلب الماهية[(34)]. ومع كل هذا اختلف المتكلمون في معرفة حقيقة ذات الله تعالى هل يمكن معرفته أم لا؟ على قولين:

القول الأول: حقيقة ذات الله تعالى غير معلومة للبشر في الدنيا، وعليه جمهور المحققين من الأشاعرة والماتريدية، منهم الباقلاني، وإمام الحرمين، والرازي، وهو ما ذهب إليه الغزالي[(35)]، واستدلوا أصحاب هذا القول بقوله تعالى:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى، من الآية:11].

وجه الدلالة: ويؤخذ من هذه الآية أن حقيقة ذات الله تعالى مخالفة لسائر الحقائق والمخلوق، أي لا يشاركه –ﷻ– شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا أفعاله[(36)].

ولذا قرر جمهور المتكلمين إلى امتناع إطلاق الماهية على الواجب –ﷻ– لإشعاره بالجنسية، يقال: ما هو؟ أي: من أي جنس، وقال أبو البقاء الحنفي[37]:" وما روي عن أبي حنيفة[38] أن الله تعالى ماهية لا يعلمها إلا هو فليس بصحيح ولم يوجد في كتبه، ولم ينقل عن أصحابه العارفين بمذهبه"[39].

القول الثاني: حقيقة ذات الله تعالى معلومة للبشر، وهذا قول نسبه الإيجي إلى كثير المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة[40].

قالوا بأنها ذات مساوية لسائر الذوات، وإنما تمتاز ذاتُ الله تعالى عن غيرها بالصفات التي تختص بها هذه الذات الإلهية، كوجوب الوجود، والقدرة التامة، والعلم التام، إنا نحكم على تلك الذات المخصوصة بأنها موصوفة بتلك الصفات، ولولا أن تلك الحقيقة من حيث هي هي معلومة لامتنع الحكم عليها بأنها غير معلومة، إذاً إن أرادوا بالذات الماهية فذلك واضح البطلان، وإن أرادوا بالذات الوجود فهي معلومة للبشر[41].

ومن المعقول: ومن المعلوم مما لاشك فيه عند من أدنى من العقل أن الله تعالى موجود، وكل موجود يصح أن يعلم، فالباري –ﷻ– يصح أن يعلم من غير كيفية وصورة، كما جاز أن يرى الباري–ﷻ– في الآخرة من غير كيفية وصورة[42].

نظرية الغزالي في ذات الإلهية:

وأما نظرية الغزالي وموقفه في معرفة حقيقة ذات الله تعالى فقد ذهب الغزالي إلى تنزيه الله تعالى عن الجسمانية والتشبه والتمثيل والتحريف والتعطيل، وما يؤدي إلى ذلك إذ يقول: يجب العلم بوجود الله تعالى، وقدمه، وبقائه، وأنه ليس بجوهر[43]، ولا عرض، ولا جسم، ولا مستقراً على مكان، وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة، وأنه يُرى في الآخرة، وأنه واحد، والخاصية الألهية ليست إلَّا لله تعالى ولا يعرفها إلَّا الله تعالى ولا يتصور أَن يعرفهَا إلَّا هو، ولذلك لم يُعْط أجل خلقه إلَّا أسماء حجبه بها فقال: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِكَ الْأَعْلَى**﴾ [الأعلى:1]. فوالله ما عرف الله غير الله في الدنيا والآخرة، يعني على سبيل الإحاطة والكمال، فهو الله المنزه عن الماهية والتشبه والتمثيل والتعطيل، الأحد المقدس عن الكمية، الصَّمد المتعالي عَن الْكَيْفِيَّة، الَّذِي لم يلد بل هو المبدع، ولم يولد بل هو قديم الوجود، ولم يكن له كفواً أحد في ذاته وصفاته وأفعاله[44].

المطلب الثاني

التفكر في الذات الإلهية

وإذا صح وجوب النظر فالواجب على المكلَّف النظر والتفكر والاعتبار في مخلوقات الله تعالى وصنعه، لا في ذات الله تعالى، وهذا هو المطلوب كما قال تعالى: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [آل عمران:191]. ولم يقل في الخالق، وقوله تعالى:﴿**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ [الغاشية:17]. فالنظر،

والتفكر، والتكييف يكون في المخلوقات، والآيات، والمصنوعات التي تدل على معرفته، لا في الخالق، وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: **«تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ»**[45]،[46].

ومما لا شك أن التفكر في ذات الله تعالى يؤدي إلى الدهش والتحير وتعطل العقل، لأن حدّ العقل محدود، لذا حذرنا النبي-ﷺ- من هذه الخطيرة، ووضع كيفية العلاج منه، بعبارة المختلفة وطرق عديدة منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ»**[47].

نظرية الغزالي في التفكر في ذات الله تعالى:

وأما نظرية الغزالي واعتقاده في التفكر في ذات الله تعالى فهو يرى أن له مقامان، فالأول ممنوع، فهو التفكر ذات الله تعالى وصفاته ومعاني أسمائه، لأنه يؤدي إلى الحيرة والدهش واضطراب العقل، والثاني جائز، وهو التفكر في أفعال الله تعالى وآثار رحمته، ومجاري قدره وعجائب صنعه، وهذا ما يؤدي إلى تعظيم الله تعالى وجلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه، وكما تدل على كمال علمه وحكمته، بل له أثر عظيم في حياة المؤمن وتغيّراته، واعتقاده وسلكه، وإليك قوله في ذلك:

المقام الأول: يرى الغزالي أن التفكر ذات الله تعالى وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما منع، وذلك لأن العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر، واستدل بأن سائر الخلق أحوال أبصارهم بالنسبة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالنسبة إلى نور الشمس، فإنه يقدر على النظر إليها، ولا يستطع دوامه ويخشى على بصره لو أدام، وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل، فالصواب إذن أن لا يتعرض لمجاري التفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فإن أكثر العقول لا تحتمله، بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان، ومنزه عن الأقطار والجهات، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه، قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته[48].

المقام الثاني: يقول الغزالي لقد أكد القرآن الكريم بالحث على التفكر في الآيات كما قال تعالى:﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ**﴾ [آل عمران:190]. أن التفكر في أفعال الله تعالى وآثار رحمته، ومجاري قدره وعجائب صنعه، وبدائع أمره في خلقه، فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه، كما تدل على كمال علمه وحكمته، وعلى نفاذ مشيئته وقدرته، فينظر إلى صفاته من آثار

صفاته، وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى، ونور من أنوار ذاته، بل لا ظلمة أشد من العدم، ولا نور أظهر من الوجود[49].

الخاتمة

مما سبق يظهر أن الغزالي أثبت لله تعالى صفة واجب الوجود، وقسم الموجود إلى قسمين، ممكن الوجود وواجب الوجود، فالممكن الوجود ما يتعلق قيامه بغيره ويستوي فيه وجوده وعدمه، وعلى هذا العالم بأسره ممكن الوجود، وأما واجب الوجود فهو ما لا يتعلق قيامه بغيره والكل يتعلق به، وهو منزه عن عرض وجسم وصورة وماهية، كما استدل على ذلك بطرق مختلفة وأدلة متنوعة.

ومما سبق بعد عرض آراء أهل العلم وأدلتهم، في هذه المسألة اختلف على قولين، فمنهم من قال أن ذات الإلهية غير معلومة للبشر وهو ما ذهب إليه الغزالي بأن حقيقة الذات الإلهية وكينونته غير معلومة للبشر، كما قرر بتنزيه الله تعالى عن الجسمانية والتشبيه والكيفية، ومنهم من قال أن ذات الإلهية معلومة للبشر من غير كيفية وصورة وهو الصواب لقوة أدلتهم على ما مر والله أعلم.

ومما سبق ظهر أن التفكير في ذات الله تعالى ممنوع بالنصوص والإجماع، وأما التفكر في أسمائه وصفاته الذي يؤدي إلى تعظيم الله تعالى فهو جائزٌ، وله أثر عظيم في حياة المؤمن وتغيّرات سلكه، بل صرح الأصوليون بأنه واجب على المكلَّف النظر والتفكر والاعتبار في مخلوقات الله تعالى إذ يؤدي إلى الإيمان بالله تعالى، وأما الغزالي فقد قسم التفكر إلى قسمين فالأول ممنوع فهو التفكر ذات الله تعالى وصفاته ومعاني أسمائه، وهذا يؤدي إلى الحيرة والدهشة واضطراب العقل، وأما الثاني جائز وهو التفكر في أفعال الله تعالى وقدرته وآثار رحمته، وعجائب صنعه، ومما يؤخذ عن الغزالي هنا أنه منع التفكر في أسمائه وصفاته مطلقاً بدون استثناء مع العلم أنه وضع كتابا في شرح السماء الحسنى باسم «**المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى**»، والظاهر أن التفكر في معظم أسمائه وصفاته ليست بممنوع ما لم يؤدي إلى الحيرة والدهش واضطراب العقل والله أعلم.

مما تقدم بعد عرض آراء أهل العلم في هذه المسألة يتبين أنهم اتفق أهل السنة من السلف والخلف على أنه لا يجب على الله شيء من الأشياء، لأنه له التصرف المطلق، بخلاف المعتزلة فأنه يرون يجب على الله تعالى رعاية الصلاح والأصلح تحت نظريتهم للعدل، وأما الغزالي فهو يرى عدم وجوب رعاية الصلاح والأصلح على الله تعالى، بل إنه متفضل بالخلق والإنعام والتكليف والصلاح والإصلاح لا عن وجوب ولزوم، والذي أراه في هذه المسألة بالصواب وهو القول الأول لقوة أدلتهم في هذه المسألة، ولأن الله تعالى له تصرف المطلق في خلقه كيف يشاء.

قائمة الهوامش الختامية

(1) ينظر المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط1، الدار الشامية- دمشق بيروت- 1412هـ، (ص512)؛ ومعجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي، ط2، دار النفائس،1408هـ-1988م، (ص497).

(2) ينظر كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت -لبنان، 1403هـ -1983م، (ص249)؛ وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان- بيروت، 1421هـ-2000م، (298/3)؛ وشرح العقيدة الطحاوية، سفر بن عبدالرحمن الحوالي، (د.ط)، (د.ت)، (ص976).

(3) الأعراض وهو الجسم، وعند المتكلّمين هو الجوهر الفرد الذي يتقوّم به المتألف فيحصل الجسم، والجسم عند المتكلمين: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، طولاً وعرضاً وعمقاً. ينظر مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب البلخي الخوارزمي (المتوفى: 387هـ)، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، (ص43)؛ والتعريفات (ص76)؛ وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تح: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون ط1، بيروت، 1996م، (1748/2).

(4) يطلق على معان: منها الموجود القائم بنفسه حادثا كان أو قديما ويقابله العرض بمعنى ما ليس كذلك، ومنها الحقيقة والذات، وبهذا المعنى يقال أي شيء هو في جوهره أي ذاته وحقيقته. ينظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (602/1).

(5) ينظر معارج القدس في مدراج معرفة النفس، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، ط2، دار الآفاق الجديدة - بيروت، 1975م، (ص163-165).

(6) ينظر المصدر نفسه (ص164).

(7) ينظر المصدر نفسه (ص164).

(8) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان، 1424هـ- 2004م، (ص51).

(9) ينظر إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، (106/1)؛ والاقتصاد في الاعتقاد (ص30).

(10) إحياء علوم الدين (106/1).

(11) ينظر المصدر نفسه (106/1).

(12) الاقتصاد في الاعتقاد (ص30).

(13) ينظر: الإنصاف، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى : 403هـ) (د.ط)، (د.ت)، (ص8)؛ والواضح في أركان الإيمان، علي نايف الشحود، ط1، دار المعمور، 2009م، (ص48).

(14) ينظر الإنصاف (ص8).

(15) ينظر الصفدية (236/1)؛ والرد على القائلين بوحدة الوجود، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، تح: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، ط1، دار المأمون للتراث - دمشق، 1415هـ، (ص13)؛ ولوامع الأنوار البهية (278/1)؛ والخلاف اللفظي في المسائل الكلامية (ص54-55).

(16) ينظر درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تح: عبد اللطيف عبد الرحمن، (د.ط)، دار الكتب العلمية – بيروت – 1417هـ – 1997م، (272/8-273).

(17) رواه البخاري في صحيحه (129/4)، برقم (3191)، كتاب بدء الخلق، عن عمران بن حصين.

(18) ينظر الإنصاف (ص7).

(19) ينظر المصدر نفسه (ص8-9).

(20) ينظر قواعد العقائد (ص152).

(21) ينظر إحياء علوم الدين (ص204-205).

(22) ينظر الاقتصاد في الاعتقاد (ص30).

(23) محك النظر في المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية،(د.ط)، بيروت – لبنان، (د.ت)، (ص221).

(24) هم القائلون بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، ويقولون بقدم العالم وإنكار الصانع، ويرون أن الأفلاك واجبة الوجود في ذواتها ومتحركة لذواتها، وأن حركاتها أسباب لحصول الحوادث في هذا العالم. ينظر مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت– 1420هـ، (498/24)؛ وتفسير القرآن العظيم (359/11)؛ وبيان تلبيس الجهمية (139/1).

(25) ينظر تهافت الفلاسفة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، د. سليمان دنيا، دار المعارف، (ط6)، القاهرة – مصر، (د.ت)، (ص155)؛ والصفدية (130/1)؛ والخلاف اللفظي في المسائل الكلامية (ص56-57).

(26) هو أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس من أثينة وهو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين، معروف بالتوحيد والحكمة، ولد في زمان أردشير بن دارا في سنة ست عشرة من ملكه، وفي سنة ست وعشرين من ملكه كان حدثا متعلما يتلمذ لسقراط، ولما اغتيل سقراط بالسم ومات قام مقامه. الملل والنحل (87/2).

(27) هو جالينوس الحكيم الفليسوف الطبيعي اليوناني، من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين، إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته، وله مؤلف الكتب كثيرة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان. إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي (المتوفى: 646 هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1426 هـ- 2005م، (ص99).

(28) ينظر تهافت الفلاسفة (ص88).

(29) المصدر نفسه (ص110).

(30) المصدر نفسه (ص309-307).

(31) ينظر الإنصاف (ص56).

(32) ينظر المصدر نفسه (ص9)؛ والمطالب الوفية شرح العقيدة النسفية، عبدالله الهرري المعروف بالحبشي، دار المشاريع، ط1، بيروت – لبنان، 1435هـ، (ص54).

(33) ينظر التبر المسبوك في نصيحة الملوك، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت – لبنان، 1409 هـ- 1988م، (ص9)؛ والواضح في أركان الإيمان (ص77).

(34) ينظر مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار (ص154-155)؛ وأسرار التنزيل وأنوار الأويل (352/2-353).

(35) ينظر إحياء علوم الدين (105/1)؛ وتشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: 794هـ)، دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز وآخرون، مكتبة قرطبة، ط1، التراث، 1418 هـ- 1998م، (643/4)؛ والغيث الهامع شرح

جمع الجوامع (ص730). ومفاتيح الغيب (414/18)؛ وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: 1250هـ)، دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ، (449/2)؛ والخلاف اللفظي في المسائل الكلامية (ص161).

(36) الخلاف اللفظي في المسائل الكلامية (ص161).

(37) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي سنة (1094هـ) بها، ومن آثاره: الكليّات، وله كتب أخرى بالتركية. الأعلام (38/2).

(38) هو النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وتوفى سنة (150). الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد (المتوفى:775)، (د.ط)، كراتشي، (د.ت)، (ص26-27)؛ والأعلام (36/8).

(39) الكليات (ص864).

(40) ينظر كتاب المواقف (206/3)؛ وتشنيف المسامع (643/4)؛ والغيث الهامع شرح جمع الجوامع (ص731)؛ وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (449/2)؛ والخلاف اللفظي في المسائل الكلامية (ص162-163).

(41) ينظر الخلاف اللفظي في المسائل الكلامية (ص162-165).

(42) ينظر حاشية الإمام البيّجوري على جوهرة التوحيد، ط1، دار السلام، 1422هـ- 2002م، (ص191)؛ وأصول الدين الإسلامي، د. رشدي محمد عليان- د. قحطان عبدالرحمن الدوري، ط1، دار الإمام الأعظم، بيروت- لبيان، 1432هـ- 2011م، (ص133).

(43) الجوهر هو المحتمل للأحوال والكيفيات المتضادات على مقدارها، وعند المعتزلة المتكلمين: أن الأجسام مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ وهي الجواهر عندهم. مفاتيح العلوم (ص43).

(44) ينظر إحياء علوم الدين (105/1)؛ ومعارج القدس (ص180).

(45) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (119)، وقال في إسناده نظر، (136/1)؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (6319)، (250/6) عن ابن عمر.

(46) ينظر الإنصاف (ص7).

(47) أخرجه مسلم في صحيحه، الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم (360)، (83/1).

(48) ينظر إحياء علوم الدين (434/4).

(49) ينظر إحياء علوم الدين (434/4-435).

Sources and references

-1Revival of Religious Sciences, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Ghazali Al-Tusi (deceased: 505 AH), Dar Al-Maarifa, (Dr. I), Beirut.

-2The Fundamentals of the Islamic Religion, d. Rushdi Muhammad Alyan - Dr. Qahtan Abdul Rahman Al-Douri, 1st edition, Dar Al-Imam Al-Azam, Beirut - Bayan, 1432 AH - 2011 AD.

- 3Economy in Belief, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Ghazali Al-Tusi (deceased: 505 AH), footnotes placed by: Abdullah Muhammad Al-Khalili, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1st edition, Beirut - Lebanon, 1424 AH - 2004 AD.

-4Victory in responding to the wicked Qadariyyah Mu'tazila, Yahya bin Abi Al-Khair bin Salem

Al-Omrani Al-Yemeni Al-Shafi'i (deceased: 558 AH), edited by: Saud Al-Khalaf, Adwaa Al-Salaf, Riyadh, Saudi Arabia, 1st edition, 1419 AH.

-5Al-Insaf, Abu Bakr Al-Baqillani Muhammad bin Al-Tayeb (deceased: 403 AH) (Dr. I), (Dr. T).

-6Al-Tabr al-Masbouk fi Nasih al-Muluk, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi (deceased: 505 AH), compiled and corrected by: Ahmad Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st edition, Beirut - Lebanon, 1409 AH - 1988 AD.

-7The Verbal Dispute in Verbal Issues, A Comparative Analytical Study, Rasha Muhammad Ghanoum, 1st edition, Lebanese House of Anecdotes, 1435 AH - 2014 AD.

-8The Response to Those Who Say Unity of Existence, Ali bin (Sultan) Muhammad, Abu al-Hasan Nur al-Din Mulla al-Harawi al-Qari (deceased: 1014 AH), edited by: Ali Reda bin Abdullah bin Ali Reda, 1st edition, Dar Al-Ma'moun for Heritage - Damascus, 1415 AH.

- 9Interpretations of the Sunnis, Muhammad bin Muhammad bin Mahmoud, Abu Mansour al-Matridi (deceased: 333 AH), investigation and study: Dr. Majdi Basloum, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, Beirut - Lebanon, 1426 AH - 2005 AD.

-10The classification of the hearings by collecting the mosques by Taj Al-Din Al-Sobki, Badr Al-Din Muhammad bin Bahadur Al-Zarkashi Al-Shafi'i (deceased: 794 AH), study and investigation: Dr. Sayed Abdel Aziz and others, Cordoba Library, 1st edition, Al-Turath, 1418 AH - 1998 AD.

-11Incoherence of the Philosophers, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi (deceased: 505 AH), d. Suleiman Donia, Dar Al-Maarif, (6th Edition), Cairo - Egypt, (Dr. T).

-12 The Mosque of Science in the Conventions of Arts, Judge Abd al-Nabi bin Abd al-Rasul al-Ahmad Nakri (deceased: 12 AH), the Arabs of his Persian phrases: Hassan Hani Fahs, Dar al-Kutub al-Ilmiya, 1st edition, Lebanon - Beirut, 1421 AH - 2000 AD.

-13Hashiyat al-Imam al-Bayjuri on Jawharat al-Tawhid, 1st edition, Dar al-Salam, 1422 AH - 2002 AD.

-14Al-Attar's footnote on the explanation of Al-Jalal Al-Mahalli on the collection of mosques, Hassan bin Muhammad bin Mahmoud Al-Attar Al-Shafi'i (deceased: 1250 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, without edition and without date.

- 15Warding Off the Conflict of Reason and Transmission, Taqi al-Din Ahmad bin Abd al-Salam bin Abd al-Halim bin Abd al-Salam bin Taymiyyah, edited by: Abd al-Latif Abd al-Rahman, (Dr. I), Dar al-Kutub al-Ilmiya - Beirut - 1417 AH - 1997 AD.

-16Explanation of Al-Aqeedah Al-Tahawiyyah, Safar bin Abd al-Rahman al-Hawali, (Dr. I), (Dr. T).

-17The Book of Definitions, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zein Al-Sharif Al-Jarjani (deceased: 816 AH), compiled and authenticated by a group of scholars, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st Edition, Beirut - Lebanon, 1403 AH - 1983 AD.

- 18The test of consideration in logic, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Ghazali Al-Tusi (deceased: 505 AH), edited by: Ahmed Farid Al-Mazeidi, Dar Al-Kutub Al-Alami, (Dr. I), Beirut - Lebanon, (Dr. T).

- 19Ma'arij al-Quds in the Runway of Knowledge of the Soul, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi (deceased: 505 AH), 2nd Edition, Dar Al-Afaq Al-Jadidah - Beirut, 1975 AD.

- 20Lexicon of the Language of Jurists, Muhammad Rawas Qalaji - Hamid Sadiq Quneibi, 2nd edition, Dar Al-Nafais, 1408 AH - 1988 AD.
- 21Keys to Science, Muhammad bin Ahmed bin Youssef, the writer Al-Balkhi Al-Khwarizmi (deceased: 387 AH), edited by: Ibrahim Al-Abyari, 2nd Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
-22Encyclopedia of Scout Conventions of Arts and Sciences, Muhammad bin Ali Ibn Al-Qadi Al-Farouki Al-Hanafi Al-Thanawi (deceased: after 1158 AH), edited by: Dr. Ali Dahrouj, Translating the Persian Text into Arabic, Library of Lebanon Publishers, 1st edition, Beirut, 1996 AD.
- 23Keys to the Unseen, called the Great Interpretation, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, Khatib Al-Ray (deceased: 606 AH), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 3rd edition, Beirut - 1420 AH.
-24Al-Mustafa fi Ilm Al-Usul, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Ghazali Al-Tusi (deceased: 505 AH), edited by: Muhammad bin Suleiman Al-Ashqar, Al-Risala Foundation, 1st edition, Beirut, Lebanon, 1417 AH / 1997 AD.
-25 The Loyal Demands Explanation of the Nasafiyah Creed, Abdullah Al-Harari, known as Al-Habashi, Dar Al-Mashrou', 1st edition, Beirut - Lebanon, 1435 AH.
-26Al-Mufradat fi Ghareeb Al-Qur'an, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad, known as Al-Ragheb Al-Isfahani (deceased: 502 AH), Edited by: Safwan Adnan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, 1st Edition, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut - 1412 AH.
-27Clearly in the Pillars of Faith, Ali Nayef Al-Shahoud, 1st edition, Dar Al-Ma'moor, 2009 AD.